

﴿فَأَمَّنَ لَهُ وُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
الْثُبَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: 26 - 27]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

بعد أن بين النظم الجليل تقريع إبراهيم الخليل لقومه، وفضحه
لشأن عبادتهم ودينهم بعد نجاته، وتجديد دعوته إليهم؛ أخبر أنه
لم يؤمن به إلا لوط عليه السلام، فلما رأى إبراهيم عزوف الناس عن الإيمان
به، أعلن هجرته عن قومه ولجوءه إلى ربّه الذي أحسن إليه، ثم بين
النظم إكرام الله تعالى لإبراهيم عليه السلام؛ فبعد ذلك العمل الصالح
والجهاد الكبير في إرشاد الناس ودعوتهم أتبعه النظم الجليل ببيان
جزاء إبراهيم في الدنيا والآخرة.

بعد العمل
الصالح الإكرام
بذكر الجزاء
الجزيل

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مُهَاجِرٌ﴾: (هجر) أصلٌ يدلُّ على قَطِيعَةٍ وَقَطْعٍ، وَالْهَجْرُ:
ضِدُّ الْوَصْلِ، وَكَذَلِكَ الْهَجْرَانُ، وَهَاجَرَ الْقَوْمُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ:
تَرَكُوا الْأَوَّلَى لِلثَّانِيَةِ، كَمَا فَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى
الْمَدِينَةِ^(١)، فَالْهَجْرُ وَالْهَجْرَانُ: مَفَارِقَةُ الْإِنْسَانِ غَيْرِهِ، إِمَّا بِالْبَدَنِ، أَوْ
بِاللِّسَانِ، أَوْ بِالْقَلْبِ، وَالْمُهَاجِرَةُ فِي الْأَصْلِ: مَصَارِمَةُ الْغَيْرِ وَمُتَارِكَتُهُ،
وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أَي: تَارِكٌ قَوْمِي وَذَاهِبٌ إِلَيْهِ^(٢)، وَالْمُهَاجِرُ:
مَنْ تَرَكَ وَطَنَهُ رَغْبَةً فِي رِضَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ^(٣).

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).

(2) الراغب، المفردات: (هجر).

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4/ 314.

(2) ﴿وَوَهَبْنَا﴾: (وهب) الهبة: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، وكل ما وهب لك، من ولد وغيره: فهو موهوب⁽¹⁾، وهي: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض، ويوصف الله تعالى بالواهب والوهاب، بمعنى: أنه يعطي كلاً على استحقاقه بلا عوض ولا غرض، والمقصود به في الآية: إعطاء الله تعالى نبيه إبراهيم ﷺ الذرية الصالحة، وحصر النبوة في ذريته وأولاده من بعده.

(3) ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾: (ذر) أصل يدل على لطافة وانتشار⁽²⁾، والذر: مصدر ذررت، وهو أخذك الشيء بأطراف أصابعك تذرّه ذرّ الملح المسحوق على الطعام⁽³⁾، والذرية: الخلق والنسل، مأخوذة من الذرّ، تقول: ذرأ الله الخلق، أي: خلقهم، وذرية الرجل: ولده⁽⁴⁾، وقيل: هو مأخوذ من الذرّ، وهو: النشر، فيقال: ذرّ الشيء، يذرّه، أي: نشره، أو من صغار النمل؛ لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذرّ⁽⁵⁾، والجمع: الذراري والذرّيات، والمقصود به في الآية: نسله من بني إسماعيل وبني إسرائيل⁽⁶⁾.

(4) ﴿وَالْكِتَابِ﴾: (كتب) أصل يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك: الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتباً⁽⁷⁾، والكتاب: الفرض، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ عَلَيْنَكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]، ويقال للحكم: الكتاب، قال تعالى: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: 3]، أي: أحكام مستقيمة، ويقال للقدر: الكتاب⁽⁸⁾، والمراد به في الآية الكريمة جنس الكتب، أي: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن⁽⁹⁾.

(5) ﴿الصَّالِحِينَ﴾: (صلح) أصل يدل على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح صلاحاً⁽¹⁰⁾، فالصلاح: ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقبول في

(1) ابن منظور، لسان العرب: (وهب).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذر).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (ذرر).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (ذر).

(5) الجوهري، الصحاح: (ذرر).

(6) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 463.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كتب).

(8) الجوهري، الصحاح: (كتب).

(9) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 673.

(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صلح).

القرآن تارةً بالفساد، وتارةً بالسيئة، قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
وَعَاثَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102]، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56] (1)،
والمرادُ به في الآية أن إبراهيم ﷺ في عدادِ الكاملين في الصَّلاح (2).

❁ المعنى الإجمالي:

أخبر النظم الكريم أنه لم يؤمن بإبراهيم بعد رؤيتهم نجاته من
النَّارِ إِلَّا لَوْطُ ﷺ، فقد بادرَ بالإيمان به، واستقرَّ الإيمانُ في قلبه،
ثم أخبر أن إبراهيم ﷺ لما يئس من إيمانِ قومه بعد أن لم يؤمنوا
بتلك الآياتِ والبراهينِ هاجرَ إلى بلاد الشام فرارًا بدينه، وقصدًا
إلى إرشاد النَّاسِ وهدايتهم، وقد منَّ الله تعالى على إبراهيم
بكثيرٍ من النُّعمِ جزاءً لصبره وهجرته وإيمانه، فوهبَ الله تعالى
له بعد أن هاجرَ ابنًا هو إسحاقُ، ووهبَ لإسحاقَ يعقوبَ، ومن نِعَمِهِ
عليه أنه جعلَ في ذرِّيَّته النُّبُوَّةَ، فلا نبيَّ بعده إِلَّا من نسله؛ فهو أبُ
الأنبياء، وجعلَ في ذرِّيَّته الكتبَ والشرائعَ التي أنزلها على الأنبياءِ
من بعده، كالتَّوراة، والإنجيل، والزُّبور، والقرآن، فأتاه الله تعالى
أجره على أعماله الصَّالحة في الدُّنيا، ورزقه الزَّوجة الصَّالحة،
والذكرَ الحسنَ بعد وفاته، وهو في الآخرة من زُمرَةِ الصَّالحين،
الَّذِينَ نُعْطِيهِمْ فِيهَا أَجْرَ الْعَطَاءِ وَأَوْفَاهُ، وهكذا جمعَ الله تعالى
بفضله وإحسانه، لنبيِّه إبراهيم، خَيْرَي الدُّنيا والآخرة، جزاءً
إيمانه العميق، وعمله الصَّالح، ووفائه في تبليغِ رسالةِ ربِّه (3).

الجزء الجزيل
لإبراهيم ﷺ في
الدُّنيا والآخرة

❁ الإيضاح اللُّغويُّ والبلاغِيُّ:

بلغة الجملةِ المعترضة:

ذكرَ النظمُ الجليل الجملةَ الفعليةَ في قوله: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾

أوَّلُ ثمار الدعوة
إيمانُ لوط

(1) الزَّاغِب، المفردات: (صلح).

(2) إسماعيل حقِّي، روح البيان: 6 / 464.

(3) الراغي، تفسير الراغي: 20 / 131، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 11 / 30.

معتزلةً بين الجمل المتحدثة عن إبراهيم ﷺ، وجيء بهذا الاعتراض ضمن الإخبار عن إبراهيم ﷺ؛ للدلالة على أن دعوة إبراهيم لقومه أثمرت عن إيمان لوط ﷺ به، وأفادت (الفاء) بيان أن إيمان لوط كان سريعاً بلا مهلة بعد نجاة إبراهيم ﷺ⁽¹⁾، ومُرتباً عليه، فلا ريب أن يخص بالذكر وبنوه بالشأن؛ لأنه تيقن بصدق الدعوة وعظيم الآيات والدلائل.

سرُّ مجيء فعل الإيمان ماضياً:

آثر النظم الكريم التعبير بالفعل الماضي عن الإيمان في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾ للدلالة على سرعة إيمان لوط به، وأنه قد استقر الإيمان في قلبه⁽²⁾، لأن الماضي بصيغته الزمنية يدلُّ على تحقق الوقوع، حتَّى صار كأنه قد مرَّ عليه زمانٌ طويلٌ في الماضي.

سرُّ التعدية بـ(اللام) وتقديم (شبه الجملة):

عدى النظم الجليل فعل الإيمان بحرف الجرّ (اللام) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾ وهي هنا دالة على التعليل، أي: إن لوطاً آمنَ لأجل ما جاء به إبراهيم من حُجَج وبراهين، وما وقع معه من النجاة⁽³⁾، والذي يبدو لنا أنها محض التعدية، ودلالة التعليل مُتأتية من العطف بالفاء، ومعنى آمن له: صدَّقه وسلَّم له، وأقرَّ له ما يقول، فالإيمان لا يتعدى بـ(اللام) إلا إذا أُريد بالتصديق الثقة والركون، كقوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 61] أي: فيكون تصديقاً خاصاً تضمّن معنى زائداً، وهو الجزم، والإقرار، والركون، ولذلك قدّم الجارَّ والمجرور؛ لبيان أن إيمان لوط بالله تعالى كان ناجماً عن ثقةٍ منحصرة بإبراهيم ﷺ وحقية دعوته ووضوح معجزته.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 237/20.

(2) المراغي، تفسير الراعي: 131/20.

(3) الواحدي، البسيط: 514/17.

استقرارُ الإيمان
في القلب
ورسوخُ اليقين

إيمانُ لوطٍ
بإبراهيمَ تصديقٌ
ركونٌ وإقرارٌ
وثقةٌ

دلالة تخصيص ﴿لُوطٌ﴾ بالذكر:

خَصَّ النَّظْمُ الْجَلِيلُ ذَكَرَ لُوطَ ﷺ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ لُوطًا وَحْدَهُ قَدْ بَادَرَ بِالْإِيمَانِ لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَلَمْ يَصَدَّقْ لَهُ إِلَّا هُوَ⁽¹⁾، وَفِيهِ كَذَلِكَ تَشْرِيفٌ وَتَنْوِيهٌ بِلُوطٍ؛ إِذْ آمَنَ مَنْفَرَدًا وَلَمْ يَأْتِهِ إِلَى جُمْهُورِ النَّاسِ وَغِلْظَتِهِمْ، وَفِيهِ أَيْضًا دَعْوَةٌ لِكُلِّ الصَّادِقِينَ بِالمَبَادِرَةِ لِلْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ، وَعَدَمِ التَّأَخُّرِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُسُلِهِ.

التنويه بأول
المؤمنين دعوة
للصادقين
بالمبادرة

دلالة العطف في: ﴿وَقَالَ إِنِّي﴾:

عَادَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بَعْدَ إِيرَادِ الِاعْتِرَاضِ إِلَى التَّحَدُّثِ عَنْ بَقِيَّةِ أَخْبَارِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بَيَانِ إِعْلَانِ المُهَاجِرَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ عَاطِفًا لَهُ عَلَى النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ لِلتَّنَاسُبِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ الْخَبَرِيَّتَيْنِ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالْغَرَضُ مِنَ الْعُطْفِ بَيَانُ ارْتِبَاطِ الْجُمْلَتَيْنِ بِعِلَاقَةِ السَّبَبِيَّةِ وَالْمُسَبَّبِيَّةِ، فَلَمَّا لَمْ يُؤْمِنُوا بَعْدَ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ بِالنِّجَاةِ مِنَ النَّارِ اقْتَضَى ذَلِكَ مَفَارَقَتَهُمْ وَتَرَكَ دِيَارَ أَهْلِ الْكُفْرِ⁽²⁾.

من سُبُل الدَّعْوَةِ
مفارقة ديار
الكافرين

دلالة التعبير بالقول:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِفِعْلِ الْقَوْلِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَعْلَنَ خُرُوجَهُ عَنْهُمْ وَمَفَارَقَتَهُ لَهُمْ جَهَارًا، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَلَدِهِ مُتَخَفِيًا، بَلْ إِنَّهُ أَعْلَنَ ذَلِكَ لَهُمْ إِعْلَانًا صَرِيحًا؛ وَأَنْبَأَتْ تِلْكَ الْمَجَاهِرَةُ وَذَلِكَ الْإِعْلَانُ عَنْ إِحْسَاسٍ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَكْفُوا عَنْ مَحَاوَلَاتِ إِيْذَائِهِ، وَأَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ فِي الصَّدِّ عَنْ الدَّعْوَةِ، وَلَا سَبِيلَ لِإِيمَانِهِمُ الْبَتَّةَ، وَمِنْ شَأْنِ الدَّاعِي أَنْ يَبْلُغَ دَعْوَتَهُ حَتَّى يَجِدَ لَهُ أَتْبَاعًا وَلَوْ كَانَ بِالْخُرُوجِ إِلَى أَقْوَامٍ آخَرِينَ.

إعلان مفارقة
الكفار من نهج
الأنبياء الأبرار

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 29 / 11.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 238 / 20.

بلادة التوكيد في قوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾:

مفارقة الوطن
نصرة للدين
محل إنكار
الديوثين

أكد النظم الجليل الجملة بـ(إِنَّ) واسميتها في قوله جل شأنه: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾؛ لأنَّ صعوبة الهجرة، ومفارقة الأهل ممَّا تنكره طباع أهل الدنيا الراكنين إليها، فردَّ الإنكار بالتأكيد⁽¹⁾، فلم ير الناس حينئذٍ أنَّ أحدًا مَّا يفارق وطنه وأهله في سبيل مبادئه ومعتقديه.

سرُّ ورود الخبر اسم فاعل:

هجرة إبراهيم
بسبب عناد
قومه

عبَّر النظم الجليل عن المهاجرة الواقعة خبرًا بصيغة اسم الفاعل في قوله جل شأنه: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ بوزن (المفاعلة) للدلالة على المبالغة في الفعل والإصرار عليه تركًا للكفر وأهله، ولأنَّ الهجرة لم تقع بفعله حسب، بل شاركه قومه بإحداثها، فهم قد آذوه واضطروه للخروج من وطنه ومفارقة أهله، فهم شريك فيها⁽²⁾، كما أفاد اسمُ الفاعل أنَّ تلك المهاجرة تستمرُّ طويلًا ولن يعود إليهم سريعًا، ولذا لم يقل: (مُهاجر) إذ السفر ينتهي المسافر فيه من تحقيق غرض سفره ويعود لأهله، فقد اتَّصف بالمهاجرة وتحول إلى تارك للقوم تركًا بعيد الأمد، ففي الهجرة معنى النبذ والترك للمحل وأصحابه.

معنى حرف الجر ﴿إِلَى﴾:

الهجرة إلى الله
تفخيم لشأن
الهجرة وبيان
لوجوبها

عبَّر النظم الجليل بحرف الجر ﴿إِلَى﴾ في قوله جل شأنه: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ وهو هنا دالٌّ على الغاية المجازية، إذ جعل هجرته إلى المكان الذي أمره الله تعالى به هجرةً إلى الله تعالى ذاته⁽³⁾، وهو من المجاز العقلي بتعليق الفعل إلى غير ما هو له في الظاهر، وفي هذا التعليق المجازي إشارةً إلى أنَّ الله تعالى هو الذي أمره بالهجرة، ومن ثمَّ كانت هجرته إلى الله تعالى؛ لأنها تنفيذٌ واتباعٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 425 / 14.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 11132 / 18.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 238 / 20.

لما أمره به، وفائدة ذلك أيضًا التعبير عن وجوب الهجرة وتعظيم شأنها لتعلقها بالله تعالى، وتعيين الجهة ليس هو المقصود، بل بيان أن الغاية من الهجرة هو الله تعالى.

إثناز التعبير بصفة الربوبية:

أثر النظم الكريم التعبير بلفظ الربوبية في قوله جل شأنه: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ للدلالة على أن المحسن إليّ بالنبوة هو المتكفل بأمر هجرتي وتيسيرها لي، فضلًا عن أنه يشير إلى الإخلاص بهذا العمل؛ فهو لم يهاجر إلى بلدٍ آخر لذات البلد، بل طلبًا لمرضاة ربّه تعالى، كما أنه خاطب القوم الذين اتخذوا من دون الله أربابًا، فبين لهم امتياز ربّه الحقيقي عن تلك الأرباب المزيّفة، وأن ذلك التميز تمثل بإنقاذه من النار فهو الربّ الحقيقي بخلاف أربابكم، الذين لا ينفعون ولا يضرّون.

دلالة فصل الجملة وتأكيدها:

فصل النظم الجليل الجملة الاسمية المؤكدة في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ لأنها مستأنفة استئنافًا تعليليًا بيانًا؛ فبين الجملتين شبه كمال الاتصال، وسيقت لبیان علّة هجرته وفراقه أهله؛ لأن من كان عزيزًا بذاته فإنه يكون ملاذًا يُعتزّ به⁽¹⁾، ودلّ التأكيد على تقوية مضمون الخبر وتشبيته في ذهن السامع؛ إذ من عادة الأقوام الإنكار لمضمون كلام الأنبياء، فكان التأكيد إزاحة لذلك الإنكار ودفعًا لذلك الجحد.

سرّ ورود ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾:

أورد النظم الجليل ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ بين اسم إن وخبرها في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ للدلالة على حصر العزة

إخلاص النية
بالهجرة إلى
الربّ الذي سبق
إحسانه

الهجرة إلى الله
هجرة إلى جناب
عزيز

العزة والحكمة
منحصرتان
حقيقةً بالله
تعالى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 238 / 20.

والحكمة به تعالى، أي: إنَّه وحده العزيز الحكيم لا غيره⁽¹⁾، وبذلك يعلن إبراهيم عند مهاجرته لهم أنَّه داعٍ إلى التوحيد الخالص، وأنَّ ما يعتقده من آلهة وأوثان فإنَّها ليست عزيزة ولا حكيمة، وبذلك يحصل تمييز دقيق بين ربِّه الحقِّ وأربابهم الباطلة العاجزة.

براعة الوصفين في قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

جمع النَّظْم الجليل بين صفتي العزَّة والحكمة في جملة الفاصلة من قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ لأنَّ صفة (العزَّة) تدلُّ على أنَّ الله تعالى غالبٌ، فهو يمنع الأعداء من إلحاق الأذى بأوليائه، ولأنَّ صفة (الحكمة) تدلُّ على أنَّه لا يأمر إلا بما يوافق كمال الفائدة وما فيه مصلحة لأوليائه وعباده⁽²⁾، وفي ذلك يقول الشعراوي في تفسيره: "اختار الخليل إبراهيم ﷺ من صفات ربِّه ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يُغْلَب وهو يُغْلَب، وهذه الصِّفة تناسب ما كان من محاولة إحراقه، وكأنَّه يقول للقوم: أنا ذاهبٌ إلى جنابٍ مَنْ لا يُغْلَب، و﴿الْحَكِيمُ﴾ أي: في تصرفاته، فلا بُدَّ أنَّه سبحانه ينقلني إلى مكانٍ يناسبُ دعوتي، وأناسٍ يستحقُّون هذه الدَّعوة بما لديهم من آذانٍ صاغيةٍ للحقِّ، وقلوبٍ وأفئدةٍ مُنشَوقةٍ إليه"⁽³⁾، ولا يخفى أنَّ من عادة المهاجرين للقضايا الحقَّة والمبادئ السَّامية إرادة الذَّهاب إلى مكانٍ منيعٍ يحميهم، فيه نظامٌ ودقَّةٌ في الحُكم، فكان اختيار الوصفين مُناسباً للمهاجر المأمور بالهجرة، وفيه تعريضٌ بهم أنَّهم وما يعبدون من دون الله عاجزون عن نُصرته والدِّفاع عنه، عابثون في أحكامهم وقراراتهم.

دلالة تعريف الطَّرفين:

عرَّف النَّظْمُ الجليل طرفي الإسناد في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ هُوَ

عزيزٌ يدافع عن
أوليائه، حكيمٌ
لا يأمر إلا بما
فيه خيرٌ

لله تعالى دون
سواه كمالٌ
العزَّة والحكمة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 426/14.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 47/25.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 11135/18.

هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ؛ للدلالة على كمال الوصفين فيه تعالى على سبيل الانحصار، أي: لا عزيز بذاته على وجه الحقيقة إلا هو، ولا حكيم بذاته تحقيقاً سواه، وبذلك يكون التعريف للطرفين قد أفاد قصر الوصفين الجليلين عليه تعالى، فكأن ما عداه ليس عزيزاً ولا حكيماً بذاته، بل كل عزيز وحكيم فهو مفتقر إليه وإلى فيض كرمه عليه بالعزة والحكمة، ولا ينبغي أن يتصور أن (أل) الداخلة على الوصفين للتعريف؛ لأنهما موصولان اسميان دالان على التعريف بالصلة وموصولها.

بلغة العطف في: ﴿وَوَهَبْنَا﴾:

عطف النظم الجليل الجملة الفعلية في قوله جل شأنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ على الجملة الفعلية في قوله جل شأنه: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽¹⁾، عطف خبر متسبب على خبر مستلزم لاتفاقهما لفظاً ومعنى، إذ بعد إعلان الهجرة إلى العزيز الحكيم ومفارقة الأهل والوطن، شرع ببيان ما أنعم الله تعالى عليه به في الدنيا والآخرة جزاءً لإخلاصه لله تعالى⁽²⁾، وذهب بعض أئمة التفسير إلى أنها معطوفة على جملة مقدره، تقديرها: (فأعزناه إعزازاً مُحْكَمًا ووهبنا له ذرية طيبة) شكرًا على هجرته⁽³⁾.

إثناز التعبير بلفظ (الهبة):

أثر النظم الكريم التعبير بلفظ (الهبة) في قوله جل شأنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ للدلالة على أنه عطاء بلا عوض ومقابل، فهو كرم محض خالص، تكريماً لإبراهيم عليه السلام؛ (فالهبة)

الهجرة إلى
العزيز الحكيم
تورث جزيل
لواهب

عطاء الله تعالى
تفضل بلا عوض
ولا غرض

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 328 / 10.

(2) للراعي، تفسير الراعي: 132 / 20.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 426 / 14.

محض تفضل من الله تعالى تمنح لمن كان أهلاً لها جزاءً على صبره وشكره بلا عوضٍ يُدفع للواهب، ولا غرضٍ يبتغي الواهب تحقيقه من هبته وعطاؤه؛ إذ أفعال الله تعالى منزّهة عن العِلل والأغراض، فقد منحه الله تعالى ذريةً من عجزٍ عاقر⁽¹⁾.

دلالة التعبير بضمير التعظيم في ﴿وَوَهَبْنَا﴾:

تعظيم الفاعل
تعظيم للفاعل

أسند النظم الجليل فعل الوهب إلى ضمير التعظيم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾؛ للدلالة على عظمة الفاعل قدرة وإرادة وحكمة المستلزم لتعظيم هذا الفعل والعطاء الذي تحفه قدرة المولى تعالى العزیزة وحكمة المولى تعالى الجليلة؛ وذلك لتأخر مجيء الذرية لإبراهيم عليه السلام، إذ هبة الذرية لشيخ كبير وعجز عقيم من القدرة العزیزة والحكمة البليغة، ولذا ناسب تعقيب الوهب صفتي العزة والحكمة.

تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُ﴾:

الهبة خاصة
بإبراهيم إعزازاً
بالولد وإحكاماً
بالتاب

قدّم النظم الجليل الجار والمجرور على المفعول به في قوله جلّ شأنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ تخصيصاً لإبراهيم عليه السلام بهذا العطاء؛ واللأم هنا دالة على التعليل والغرض؛ أي: إنّ ذلك الوهب لأجل إبراهيم اللاجئ إلى العزيز الحكيم، وفيه مصلحة له مترتبة على ذلك الوهب، وهو إعزازه بالولد وعدم قطع نسله إلى يوم القيامة، ووضع الحكمة في ذريته وتخصيصها بالكتب المنزلة، فكان الوهب مناسباً لحسن ظنه بالله تعالى، فكان تقديم الموهوب له اهتماماً به وتخصيصاً له بالهبة.

دلالة عطف ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ على ﴿إِسْحَاقَ﴾:

من كمال
الإنعام وتمايمه
دوام الذرية
والنسل

عطف النظم الجليل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ على ﴿إِسْحَاقَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ لبيان مزيد الإنعام، فبين أنّه

(1) إسماعيل حقي، روح البيان: 463 / 6.

أَنعَمَ عليه بولدٍ من صُلْبِهِ وهو إسحاقُ، وبَيَّنَّ أَنَّهُ جَعَلَ ذُرِّيَّتَهُ دَائِمَةً
باقيةً، بولدٍ ولده وهو (يعقوب)، والغرضُ من ذكر الحفيدِ بعد الابنِ
الإشارةُ إلى استمرارِ الذُرِّيَّةِ وعدمِ انقطاعها وأنَّ عمره لَنَ يَنْقُضِي
حتى يرى حفيده يعقوبَ ﷺ، وَأَنَّهَا سَوْفَ تَتَشَرَّفُ بِحَمْلِ رِسَالَةِ
التوحيدِ إلى قيامِ السَّاعَةِ.

دلالة العطف في: ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

عطفَ النَّظْمِ الجليلِ نعمةَ جعلِ النَّبِوَّةِ والرَّسَالَةِ في ذُرِّيَّتِهِ في
قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ على نعمةِ هِبَةِ الذَّرِّيَّةِ
نفسها في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، وذلك لسرِّدِ
نِعَمِ اللَّهِ تعالى على إبراهيمَ ﷺ، فبعد أن ذكر ما أَنعَمَ به عليه من
حُسْنِ الذَّرِّيَّةِ وإعزازه بنعمةِ الولدِ وولدِ الولدِ؛ لأنَّه هاجرَ إلى العزيزِ،
أَتبعَه ببيانِ تكريمِ هذه الذَّرِّيَّةِ، بأنَّ جعلَ النَّبِوَّةِ والرَّسَالَةِ والحكمةَ
فيها على سبيلِ الحصرِ؛ لأنَّه لجأ مُهاجرًا إلى الحكيمِ، وذلك لبيانِ
جليلِ النِّعَمِ التي أَنعَمَ اللَّهُ تعالى بها على نبيِّهِ إبراهيمَ ﷺ.

اختيارُ التَّعبيرِ بِ(الجعل):

أثر النَّظْمِ الكريمِ التَّعبيرِ بالجعلِ دونَ غيره في قوله جلَّ شأنه:
﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ لما في الفعلِ (جعل) من دلالةٍ
على التَّصييرِ، فمعنى: جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا: صَيَّرَهُ⁽¹⁾، فحوَّلَهُ من حالٍ إلى
حالٍ، إذ حَكَّمَ اللَّهُ تعالى بأنَّ النَّبِوَّةَ تنحصرُ في ذُرِّيَّةٍ مَعْيَنَةٍ محضُ
إنعامٍ وتفضُّلٍ منه، فهو صَيَّرَ النَّبِوَّةَ محصورةً في نسلِ إبراهيمَ،
وعظَّمْ هذا الجعلَ بإسنادِ فعله إلى ضميرِ التَّعْظِيمِ، وتتجلى الحكمةُ
الإلهيةُ في هذا الجعلِ ليكونَ إبراهيمُ ﷺ رابطًا بينَ الأممِ والشعوبِ
انتماءً نَسَبِيًّا ورابطةً رُوحِيَّةً، فيتحقَّقُ الوُثَامُ الإنسانيُّ بِاتِّباعِ الديانةِ

إِتِّباعُ نعمةِ
الذَّرِّيَّةِ بتكريمها
أَفْخَمُ إِعْزَازٍ

من حكمةِ الله
تعالى تصييرُ
النَّبِوَّةِ في نسلِ
إبراهيمَ

(1) الجوهري، الصحاح: (جعل).

الإبراهيمية الحقّة المتمثلة بالتوحيد الخالص لله تعالى، ورفض عبادة غيره، ونلاحظ أنّ هنالك تناسباً في الفعلين ﴿وَوَهَبْنَا﴾، ﴿وَجَعَلْنَا﴾؛ إذ نعمة الولد تتحقّق بالهبة التي هي إيجاد من عدم المستلزمية إعزاز الأب، ونعمة النبوة والكتاب تتحقّق بالجعل المرتبط بالحال والوصف وذلك بالانتقال من الإنسانية المطلقة إلى النبوة الدالّة على عظيم الحكمة بالاختيار والاصطفاء، فلا مناقشة في ذلك الجعل لصدوره من الحكيم.

دلالة تقديم الجارّ والمجرور: ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾:

تكريّم الذرّيّة
بجعلها الوعاء
للوحي الإلهي

عبّر النظم الجليل بحرف الجرّ ﴿فِي﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ مقدّماً الجارّ والمجرور على المفعول به؛ للدلالة على الظرفيّة المجازيّة، فالذرّيّة صارت ظرفاً للنبوة والرسالة مجازاً، وفي هذه الظرفيّة المجازيّة إشارة إلى أنّ قسماً من الذريّة يكونون حاملين للنبوة والكتاب دون غيرهم، وقسماً آخر يتداولون تلك التعاليم، ويعملون على النظر فيها وشرحها وبيانها وتبليغها، فتكون النبوة ويكون الكتاب فاشياً فيهم وداخلاً في حقيقتهم؛ حتى ينظر إليهم العالم على أنّهم المتحدثون عن الله تعالى وأحكامه، وأفاد تقديم الجارّ والمجرور على المفعول به انحصار النبوة في ذرّيته، إذ جميع الأنبياء والرسل من بعده كانوا من نسله⁽¹⁾؛ فلا نبوة ولا كتاب يخرج عن إبراهيم وآل بيته الطاهرين؛ فأيّ إعزاز وأيّة حكمة أعظم من الهجرة إلى ذلك العزيز الحكيم!.

بيان المراد من (الذرّيّة) المضافة:

تكريّم الذرّيّة
بتكريّم أصلها
التلبد

أضاف النظم الجليل لفظ (الذرّيّة) إلى ضمير الغائب العائد على إبراهيم عليه السلام في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ تشريفاً لهذه الذرّيّة، وتنوّهًا بمكانتها بانتسابها إلى

(1) الخطيب، السراج المنير: 3 / 135.

إبراهيم الخليل ﷺ، فضلاً عن أن فيه إشارة إلى أن سبب التكريم هو إبراهيم ﷺ، فمن أراد أن يلوذ بأهل الكرم فليتبّعهم؛ لأنّهم إنّما شرفوا بالانتساب إلى أبيهم.

علة التنصيص على ذكر ﴿النُّبُوَّةُ وَالْكِتَابُ﴾:

نصّ النظم الجليل في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ على أن التكريم وقع بالنُّبُوَّةِ والكتاب، وذلك لبيان أن التكريم وقع بأعلى رُتبتين يبلغهما إنسان في الدنيا، فالنصّ على النُّبُوَّةِ إشارة إلى اصطفاء بعض ذريّته أنبياء مبلّغين للشرائع والتعاليم، والنصّ على الكتاب إشارة إلى اصطفاء بعض أبنائه ليكونوا رُسلًا للعالمين، ولذا عطف ﴿وَالْكِتَابَ﴾ على ﴿النُّبُوَّةَ﴾ بياناً للفرق بين النبيّ والرسول، فكأنه قال: وجعلنا في ذريّته النُّبُوَّةَ والرّسالة معاً، فلا نبيّ ولا رسول يكون من خارج بيته، فيراد من الجمع بينهما تفخيم الإنعام وتعظيمه.

بلاغة تعريف لفظي: ﴿النُّبُوَّةُ وَالْكِتَابُ﴾:

عرّف النظم الجليل لفظي: ﴿النُّبُوَّةُ وَالْكِتَابُ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ بالألف واللام الدالة على الجنس والحقيقة والكمال، أي: جعلَ جنس النُّبُوَّةِ بكل كمالها منحصرّة في ذريّته، فلا نبيّ بعده إلّا من نسله، وجنس الكتاب بكل كماله وعظمته مُنحصراً في أبنائه وأحفاده، فما يصدر عن هذه الذريّة وحيّ حقيقيّ كامل متكامّل يجب اتّباعه ما دام مترسماً خُطى إبراهيم بالتوحيد والعبادة لله تعالى وحده، فهو يشمل الكتب المنزلة جميعاً، فكلُّ كتاب أنزله الله تعالى إنّما ينزل على واحدٍ من ذريّة إبراهيم⁽¹⁾.

من أعظم الآلاء
جعل الذريّة
رسلاً وأنبياء

كلّ الأنبياء
والكتب المنزلة
كائنة في ذريّة
إبراهيم

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4/ 314.

تَعَدُّ هَبَاتِ
الرَّحْمَنِ لَخِيلِهِ



الأَجْرُ مَعْنَوِيٌّ
وَهُوَ يُؤْتَى، وَلَا
يُعْطَى

دلالة العطف في: ﴿وَعَاتَيْنَهُ﴾:

عطف النظم الجليل إيتاء الأجر في قوله جل شأنه: ﴿وَعَاتَيْنَهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ على هبته الذرية وجعل النبوة والكتاب فيها، لجمع ما جازى الله به إبراهيم من المناقب في الدنيا، وإشارة إلى جزيل عطاء الله تعالى لعباده المؤمنين.

دلالة التعبير بالإيتاء:

آثر النظم الكريم التعبير بلفظ الإيتاء في قوله جل شأنه: ﴿وَعَاتَيْنَهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾؛ لأنه يستعمل للدلالة على منح الأشياء المادية والمعنوية معاً، ولما كان الأجر معنوياً عبر بالإيتاء⁽¹⁾، فضلاً عن أن الإيتاء لا يكون إلا للشيء الكثير والعظيم الشأن، وحسب إبراهيم عليه السلام من عظيم الشأن النبوة والولد الصالح، واستمرار الرسالة في ذريته خالدة، ونلاحظ في الإيتاء أنه يكون بسلاسة ورشاقة وخفة، ولذا يُعبر به في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾⁽²⁾ اللائدة: 55 بمعنى الإعطاء بكل هدوء ورحمة وانسيابية، فيكون وهب الولد وحصر النبوة والكتاب ومنح الأجور قد وقع له من حيث لا يشعر، مع كمال الرحمة والرفقة به.

عود الضمير في ﴿أَجْرَهُ﴾:

أضاف النظم الجليل لفظ (الأجر) إلى الضمير العائد على إبراهيم عليه السلام في قوله جل شأنه: ﴿وَعَاتَيْنَهُ أَجْرَهُ﴾؛ للدلالة على أن الأجر قد ناله على تعبهِ وجهاده وصبرهِ في تبليغ دعوته وصحفهِ؛ لأن الأجر يكون في مقابل العمل، فهو أجره الخاص بما قدّمت يداه؛ كرمًا من الله تعالى عليه وفضلاً، وإن كانت تسمية الأجر مجازاً؛ إذ لا استحقاق ولا وجوب على الله تعالى بمكافأة عبيده الطائعين إلا من باب الفضل والرحمة بهم، لكنّه تعالى من كرمه البالغ يُسمّي

(1) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 20 / 153.

المنحة أجراً لكي ينهمك العاملون والطائعون بمقتضى جبلتهم في
تحصيل الأعمال التي تتطلب الأجور عادةً.
دلالة التقييد بـ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾:

قيّد النظم الجليل الإيتاء بكونه واقعاً في الدنيا في قوله جلّ
شأنه: ﴿وَعَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ للدلالة على أنّ ذلك أجر قد ناله
في حياته، فأعطاه الله تعالى الأولاد في غير أوانه، وجعل النبوة
منحصرةً ومستمرةً في عقبه، وذلك ممّا تقرّ به عينه، وجعل كلّ
الملل تتصلّ به، ويثنون عليه الثناء الحسن، ويذكره أهل الإسلام في
آخر كلّ تشهد إلى آخر الدهر⁽¹⁾، فهو قد نال المكافأة الدنيوية على
عمله وصبره.

تعجيل الأجر في
الدنيا من عظيم
الإكرام

بلادة العطف في: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ﴾:

عطف النظم الجليل كونه من الصالحين في الآخرة بإهاب
الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام المناسب لأحوال الآخرة
في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ على إيتائه
الأجر في الدنيا بإهاب الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث
المناسب لأحوال الدنيا المتغيرة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَعَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ
فِي الدُّنْيَا﴾، وذلك لبيان أنّ الله تعالى قد جمع له أجرين؛ الأول في
الدنيا بنصره على أعدائه، وحسن الثناء، والذرية الطيبة، واستثنائه
بالنبوة والكتاب، والثاني في الآخرة وهو كونه في زمرة الصالحين⁽²⁾.

أجر الدنيا
مشفوع بأجر
الآخرة

دلالة توكيد الجملة الاسمية:

أكد النظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ
لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بـ (إنّ) و(اللام) و(تقديم الخبر) و(اسمية
الجملة) ردّاً على منكري البعث، فكان الكافرون من قومه يظنون

تأكيد الخبر
ردّاً على منكري
البعث

(1) الفنوجي، فتح البيان: 185/10.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 239/20.

أنَّه قد خسرَ وطنَهُ بالهجرة، ونال النكد في الدُّنيا، فاقتضى ذلك تأكيدَ الخبر⁽¹⁾، ولبيان أنَّ نعمَ الدنيا التي حصلَ عليها شيءٌ يسيرٌ من نعمِ الله تعالى عليه في الآخرةِ الدائمةِ الباقيةِ.

معنى المتعلّق الظرفيّ المتقدّم:

مَنَّةُ الرَّحْمَنِ عَلَى
عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا
لَا تَنْقُطُ عَنْهُمْ
فِي الْآخِرَةِ

عبّر النظم الجليل بالجارّ والمجرور الظرفيّ وهو ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ المتقدم على مُتَعَلِّقِهِ وهو ﴿الصَّالِحِينَ﴾ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾؛ للدلالة على أنَّ كونه من الصّالحين يكونُ في تلك الدّار التي هي محلُّ الاستقرار والخلود⁽²⁾، فهو صالحٌ في الدنيا ويُحَسَّرُ في زمرة الصّالحين في الآخرة أيضًا، لكنَّ لما كان صلاحُه في الدنيا قد يتعرّض إلى شيءٍ من الإنكار والتكذيب؛ حَصَرَ كمالَ صلاحه بالآخرة، التي لا تحتلُّ التكذيب والإنكار.

بلاغة الطّباق:

الْجَمْعُ بَيْنَ
حُسْنِيِّ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ مَفْصَحٌ
عَنْ عَظِيمِ
الْجَزَاءِ

جمع النظم الجليل بين ﴿الدُّنْيَا﴾ و﴿الْآخِرَةِ﴾ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَعَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ لبديع الطباق بينهما، تفخيماً لجزاء إبراهيم عليه السلام، إذ عدّد النعمَ العاجلة والآجلة إظهاراً لعظيمِ نعمه تعالى عليه، وبياناً لعلو مكانته، وإيماء إلى أنَّ الإيمان والهجرة لله تعالى جزيلةُ الجزاء عظمةُ القدر، وبالجمع بين حُسْنِيي الدنيا والآخرة بالطباق يكونُ المعنى: (وأُتيناها أجره في الدنيا والآخرة) معاً، لكنّه عبّر عن أجر الآخرة ببيان ذلك الأجر، وهو كونه في زمرة الصّالحين، كما عبّر من قبل عن أجر الدنيا بنعمة الولد والنبوة.

معنى اللّام في قوله: ﴿لِمَنِ﴾:

وَعَدُّ اللَّهِ تَعَالَى
مُحَقَّقٌ مُؤَكَّدٌ

أدخل النظم الجليل (اللام المرحقة) على الخبر في قوله جَلَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 427.

(2) الخطيب، السراج المنير: 3/ 135.

شأنه: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهي لأم التأكيد، وفائدتها تأكيدُ مضمونِ الخطاب، والمرادُ من التأكيد تقويةُ الخبر وتأكيدُ تحقيق الوعدِ الإلهيِّ له بالحشرِ مع زُمرةِ عبادِ الله الصالحين.

بلغة التعبير باسم الفاعل الجمعي:

أثر النظم الكريم التعبير عن مكانة إبراهيم في الآخرة بكونه من الصالحين على هيئة اسم الفاعل المجموع جمع سلامة في قوله جل شأنه: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ دون أن يقول: (وإنه في الآخرة لصالِح)؛ وذلك للمبالغة في صفة صلاحه من حيث تمكُّن هذه الصفة واستقرارها وثبوتها فيه فلا تزولُ عنه، فهو بلغ من الصلاح بحيث يكون من زمرة الصالحين المشهورين بهذا الوصف؛ فالجمع يدلُّ على الجنس، والصيغة أثبتت له الوصف، وقررت أنه متَّصف به على وجه الكمال والتَّمكُّن، ولا يكون المعنى كذلك لو قال: (إنه لصالِح).

استقرَّ الصَّلاح
في إبراهيم
حتَّى بات من
المشهورين فيه

براعة الوصف بـ ﴿الصَّالِحِينَ﴾ اسمًا معترفًا:

أورد النظم الجليل صفة الصلاح بصيغة الاسم في قوله جل شأنه: ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ للدلالة على ثبوت صفة الصلاح فيهم، وجيء بالتعريف بـ (أل) بناءً على أن الوصف قد اشتهر وخرج عن معنى الحدوث؛ للدلالة على الكمال في الصلاح، فهو من كَمَل الصالحين ومن زمرتهم⁽¹⁾، وإن لم يكن قد اشتهر اسمًا، وفيه دلالة الحدوث فإنَّ (أل) في الوصف موصول اسمي بمعنى أنه في زمرة الذين اتَّصفوا بالصلاح، ويكون المشتق حينئذ دالًّا على علّة الحكم عليه بكونه منهم، وهو صلاحه، وفي الجملة: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كناية عن دخوله الجنّة؛ لأنَّ مَنْ كان صالحًا ومع

كمالُ الموصوف
بالصَّلاح
تستدعي كمالَ
الوصف

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 239 / 20.

الصّالحين في الآخرة فإنَّ أجره ونصيبه الجنَّة الدائمة والباقية، وعدل عن التعبير عن منحه (الجنة) مع الصّالحين بـ (الأجر)؛ للدلالة على أنَّ أجره على عمله قد أخذَه كاملاً عاجلاً في الدنيا، وأمّا نعيم الآخرة فهو محض تفضُّل وإحسان من الكريم المتعال.

❁ الفروق المُجمِعة:

المهاجر والذَّاهب والمسافر:

المهاجر ذاهب
للهجران،
والذَّاهب مضي
عام، والمسافر
بنيّة العودة

المهاجر من ترك أرضاً وانتقلَ إلى أخرى، والمهاجرة من أرضٍ إلى أرض ترك الأولى للثانية⁽¹⁾، والهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره، والمهاجرة في الأصل: مُصارمة الغير ومتاركته، وقوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ أي: تارك لقومي وذاهبٌ إليه⁽²⁾، والمهاجر من ترك وطنه رغبة في رضى الله تعالى⁽³⁾، فهو يذهب في الطريق بنيّة الهجر وترك الوصال ورغبة في التقاطع مع المهجورين، وأمّا الذَّاهب فهو المضي⁽⁴⁾، من دون نيّة إلا الوصول إلى مقصده، وأمّا المسافر فهو الذَّاهب في الطريق النّاوي للعودة إليه بعد الانتهاء من غرضه، وعبر في الآية بـ (المهاجرة) لأنّه ترك وطنه وذهب إلى بلاد أخرى، فهي هجرة كاملة فيها معنى المنابذة والمتاركة والكراهية والقطيعة لمن هجرهم.

العزیز والغالب:

العزیز يغلب ولا
يُغلب، والغالب
قد يُغلب

العزّة: حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب، وتعرّز اللحم: اشتدَّ وعزَّ، كأنّه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه، والعزیز: الذي يقهر ولا يقهر⁽⁵⁾، أمّا الغلبة فهي القهر، قال تعالى: ﴿لَمْ يَغْلِبْ

(1) الجوهرى، الصحاح: (هجر).

(2) الراغب، المفردات: (هجر).

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4 / 314.

(4) الراغب، المفردات: (ذهب).

(5) الراغب، المفردات: (عزّ).

الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ ﴿٢﴾ [الرُّوم: 1-3]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: 21] أي: قويُّ قادر، أي: غَالِبٌ بِالْحَقِّ⁽¹⁾، والعَزِيزُ: مَنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ: هُوَ الْمُتَمَتِّعُ فَلَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، والقَوِيُّ الْغَالِبُ كُلُّ شَيْءٍ⁽²⁾، فعبر في الآية بـ(العزیز) لما فيه من دلالة على المنع والعزة وامتناع القهر.

(1) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: (غلب).

(2) ابن منظور، اللسان: (عزز).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الزّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الزّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 42، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-93-8

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 42: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الزّوم الآية 07.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-93-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»